

حوار من خلال جولة موضوعية للصور في العالم...

«تاريخ الصور» لهوكني وغايפורد... من الكهف إلى «الآيفون»

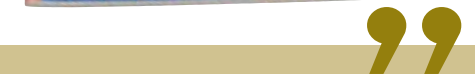
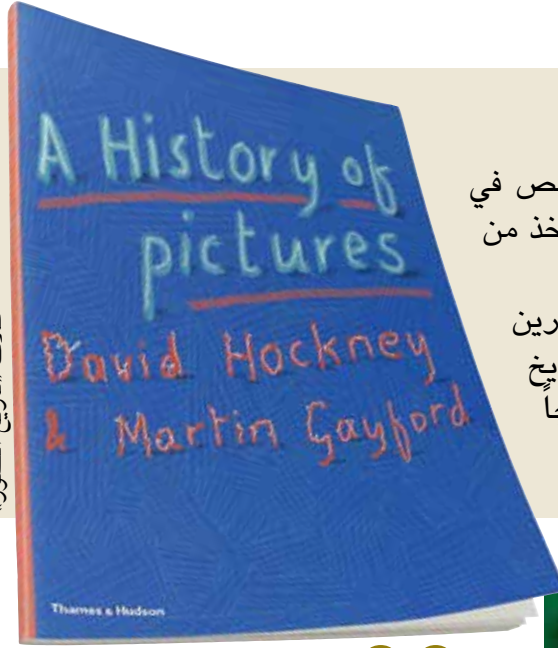
■ الوسط - جعفر الجمري



□ يكتسب كتاب كل من: الرسام الطليعي البريطاني ديفيد هوكني، والناقد الفني مارتن غايפורد، المتخصص في إبراز أفضل الأعمال في ماضي الفنانين المعاصرين، والذي حمل عنوان «تاريخ الصور»، أهميته من كونه يتخذ من الحوار منطلقاً إلى جولة موضوعية لقراءة واستعراض الصور في العالم.

العنوان الذي اختاره بروس واتسون، لمراجعته في صحيفة «واشنطن بوست»، بتاريخ 23 نوفمبر/ تشرين الثاني 2016، جامع وملفت، وإن جاء من وحي الحوارات ومتمن الكتاب نفسه. العنوان اتخذ الصيغة الآتية: «تاريخ الصور... من الكهف إلى الآيفون»، والذي يتتبع فيه كل من هوكني وغايפורد أعمال فنانين انطباعيين، عرجوا إلى اكتشاف الكاميرا، وما عُرف بين مؤرخي الصورة بـ «الداجية»، نسبة إلى مخترعها لويس داجير.

غلاف «تاريخ الصور»



■ الصور هي زاوية شخصية على أرض الواقع.

■ تاريخ الصور يبدأ في الكهوف وينتهي في هذه اللحظة، مع الأيباد.

■ قراءة كتاب «تاريخ

الصور» هو مثل القيام بجولة في متحف كبير.

■ احتج الرسّامون الفرنسيون بأن التصوير الفوتوغرافي لم يكن أكثر من سلسلة من التلاعب الآلي.

■ هوكني: الصور هي وسيلة لتمثيل العالم.

■ أسرّت الصور والنماذج ثنائية الأبعاد الإنسانية، منذ أن رسم أول فنان ثوراً على ضوء المشاعل.



ديفيد هوكني

الأواح معدنية مفضضة، وتعرض لبخار اليود ثم توضع هذه الألواح في الكاميرا للحصول على صور من الأشياء. وكانت الصور تظهر معكوسة تماماً (اليمين/يسار واليسار/يمين) «ويكبيديا».

2. ولد الفنان والكيميائي الفرنسي لويس داجير، العام 1787، في مدينة كورجي شمال فرنسا، وتوفي العام 1851. بدأ حياته رساماً، وفي الثلاثين من عمره اخترع طريقة لعرض اللوحات الفنية مستخدماً أسلوباً معيناً في الإضاءة، وعندما كان مشغولاً بهذا الفن حاول أن يجد طريقة لنقل مناظر الطبيعة بصورة آلية، أي تصويرها وليس رسمها. جاءت محاولاته الأولى من أجل اختراع كاميرا فاشلة تماماً، وفي سنة 1827 التقى برجل آخر وهو جوزيف نيبس. وكان يحاول اختراع كاميرا. وقد وفق في ذلك إلى حد ما. بعد ذلك بسنوات قرر الاثنان أن يعملوا معاً.

3. «رسالة أكبر»، كتاب هوكني، ويعد أكبر المؤلفات المكرسة لفن الرسم على الإطلاق؛ إذ يزن نحو 35 كيلوغراماً.

4. وُلد الفنان البلجيكي جان فان أيك، العام 1390، وتوفي في 1441م. قام أيك بالجمع بين عذّة تقنيات، ومن أبرزها التصوير الزيتي، حتى يُعطى للمواد المصوّرة قوة على الإحياء، وواقعية أكثر.

5. وُلد الرسّام والمهندس المعماري الإيطالي جيوتو دي بوندوني، في منطقة فيكيو بمقاطعة فلورنسا العام 1266م، وتوفي في 1337م. يُعتبر من كبار الفنانين الذين ساهموا في النهضة الإيطالية.

6. ميكيل أنجلو ميريزي، والملقب بكارافاجيو نسبة إلى مسقط رأسه، رسّام إيطالي عاش في العام 1571م، وتوفي العام 1610م. أضفى جواً درامياً على مشاهد لوحاته الواقعية، من خلال لجوئه إلى استغلال تفاوت الضوء والظلّال. كان له تأثير كبير على الفنانين الذين جاؤوا بعده، وأطلق اسمه على تيار فني شمل كامل أوروبا.

7. كهف أفلاطون، أو أسطورة الكهف مثل ضربه أفلاطون في الباب السابع من كتاب «الجمهورية» و «برمز إلى أن النفس الإنسانية في حالتها الحاضرة، أي خلال اتصالها بالبدن، أشبه شيء بسجين مقيد بالسلاسل، وضع في كهف، وخلفه نار ملتهبة تضئ الأشياء وتطرح ظلّالها على جدار أقيم أمامه».

8. الكولاج فن بصري يعتمد على قص ولصق العديد من المواد معاً، وبالتالي تكوين شكل جديد.

9. وُلد الرسّام الفرنسي هنري فاننتان - لاتور، العام 1836، وتوفي العام 1904. كان أسلوبه يميل إلى المحافظة على تقاليد الرسم والاهتمام بالتركيب المدروس البعيد عن العفوية.



مارتن غايפורد

ظهور الفوتوشوب بفترة طويلة، تلاعب المصوّرون بالصور في غرفة تميض الأفلام، أو حتى في الفضاء الذي يتم فيه التقاط الصور. هل يمكن أن نثق بالتصوير بعد الآن؟ يسأل هوكني وغايפורد.

ضوءان

يُذكر أن ديفيد هوكني من مواليد العام 1937. درس في أكاديمية برادفورد للفنون، ليلتحق بعد ذلك بالأكاديمية الملكية البريطانية للفنون في الفترة ما بين 1959 و 1962. لينتظر 30 عاماً ليقع عليه الاختيار عضواً في الأكاديمية العام 1992. أطلق في العام 1963 معرضه الأول في لوس أنجلوس التي انتقل إليها. نشر كتابان عن ذكرياته في عدد من البلدان التي زارها ومن بينها مصر: «ديفيد هوكني» (1977) و «هكذا رأيتها» (1993). حاز وسام الاستحقاق، وهو وسام الشرف الأعلى في بريطانيا. أما مارتن غايפורد، فيعدّ أحد أبرز الخبراء والنقاد في تاريخ الفن، اشتغلاً على إبراز أفضل ما أنجزه المبدعون في ماضيهم. تتخذ بعض كتاباته استكشاف الانفعالات النفسية لعدد من الفنانين، من بينهم جون كونستابل؛ علاوة على لوسيان فرويد، وفي كتابه «المنزل الأصفر» قدم تحليلاً للعلاقة المضطربة بين فان جوخ وغوغان في الفترة ما بين أكتوبر/تشرين الأول، وديسمبر/كانون الأول 1888.

هوامش لابد منها

1. الداجية: أو الداجيروتيب، نوع مبكر جداً من التصوير، اخترعه الكيميائي الفرنسي لويس داجير العام 1839 بعد سنوات من البحث والتجارب. «تستعمل» في هذا النوع من التصوير،

كان للكاميرا ردّ فعل مريباً، ومفرحاً في الوقت نفسه، لأنّ منها بدأ التاريخ للبشر والمكان، وما يرتبط بهما من تفاصيل، ذلك هو المفرح المُربك في الأمر أن المصوّرين وقفوا على جبل بعض الرسّامين الذين قاموا بنسخ الصور ونقلها إلى اللوحة. لم تخل المسألة من إشكالات قانونية في فرنسا تحديداً. لذا برز التساؤل وقتها، كما هو اليوم: هل كان التصوير فناً؟

يبدأ واتسون مراجعته من صيف العام 1839، وهو العام الذي عُرفت به «الداجية» الأولى (1) نسبة إلى مخترعها لويس داجير (2)، حيث قاد ذلك الاكتشاف إلى حالة من الجنون اجتاحت كل أنحاء باريس. العناصر التي تدخل في خلق الصورة: المواد الكيميائية، العدسات والفُترة المُعتمة، كل ذلك صار مُدأولاً وتم بيعه في المحلات التجارية. وبامتداد مدينة النور (باريس)، تم رؤية الرجال وهم يحاولون تسوية صناديق ضخمة على حوامل الكاميرات. «الجميع يريد نسخ المشهد الذي تقترحه نافذته»، وكما يتذكر شخص باريس، كانت «أفقر الصور تُسبّب له فرحاً لا يمكن وصفه».

تاريخ طويل من الشغف

أسرّت الصور والنماذج ثنائية الأبعاد الإنسانية، منذ أن رسم أول فنان ثوراً على ضوء المشاعل؛ ولكن تاريخ الفن النموذجي عُرف بواسطة التخطيط لقفزات أحزها الرسم والتصوير الجداريات التي حوتها النماذج الجصية. الفنان ديفيد هوكني والناقد الفني مارتن غايפורد كانا يسعيان إلى تحقيق هدف كبير في هذا المجال، من خلال كتابهما الضخم والجميل «تاريخ الصور»، والذي يستكشف علاقة شغفنا الطويل بالصور من خلال جميع وسائل الإعلام وعلى امتداد آلاف السنين.

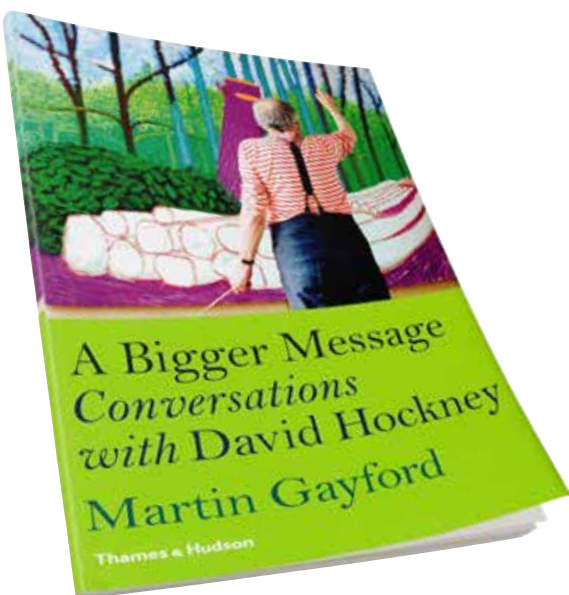
يبدأ تاريخ الصور، كما يقول هوكني: «في الكهوف، وينتهي في هذه اللحظة، مع الأيباد». يتتبع هوكني وغايפורد التاريخ في حوار، مماثل لذلك الذي ضمّنه كتابهما الذي صدر في العام 2011، وحمل عنوان «رسالة أكبر» (3). ويبرهن الفنان البريطاني الشهير مرة أخرى في منحه يشبه الاستنباط في الفكر، الأمر نفسه مع اللوحة وقد استوت على القماش. الناقد الفني، غايפורد، يظل بالنسبة إلى الجمهور، بمثابة دليل لطيف، في توجيهه للحوار من خلال جولة موضوعية للصور في العالم، بعضها كلاسيكي، ولكن أكثرها قليل الشهرة.

قراءة كتاب «تاريخ الصور» هو مثل القيام بجولة في متحف كبير رفقة دريدشة بين فنان وناقد. يبدو الحوار مُوجّهاً في بعض الأحيان، وخاصة عندما يُعيد هوكني قولبة «نظريته البصرية»، تلك المتعلقة بالفنانين ومن بينهم جان فان إيك (4) الذي عمد إلى استخدام العدسات في أعماله، مساهماً بقدر كبير في نشر طريقة التصوير الزيتي في أوروبا. ولكن أغلب الحوار في الكتاب يتضح بشكل تام على صفحة كاملة من الورق المصقول، ويتسم بالإبداع وإثارة الدهشة.

هل يمكن أن نثق بالصور؟

من أين سنجد صوراً تبدأ من جيوتو (5) تُقارن برسوم ديزني؟ وما أنجزه كارافاجيو (6) تُقارن بـ «أضواء هوليبود»؟ وكهف أفلاطون (7) أو ما يعرف بأسطورة الكهف، يمكن أن تُقارن بالتلفزيون؟ في بعض الأحيان، هوكني وغايפורد يبدوان وكأنهما موسوعات من الصور، تضم شخصيات متناقضة منفصلة لقرن من تاريخ الفن.

من جهة أخرى، بعض من ذلك التاريخ في الكتاب، يتضمّن فصلاً كاملاً لفن عصر النهضة، والذي سيكون مألوفاً لأي من مُرتادي المتاحف، وينشط المؤلفان جولتهما تلك من خلال مناقشة القواسم



غلاف «رسالة أكبر»